وجه تعدد قصة ابراهيم في القرآن الكريم

أ.د عبد المنعم ممدوح رماح
بكلية أصول الدين
بشبين الكوم

« وجه تعـدد قصـة الخليل عليه السلام »
فى القـرآن الكريم

جاء الحديث عن قصة الخليل عليه السـلام فى خمس وعشرين سورة من سور القرآن الكريم بعضها مكى وبعضها مدنى ، وقـد بلغ عدد الآيات التى تناولت قصة الخليل عليـه السلام وما يتعلق بها من أمور مائتى آية وعشر ايات وفى هذا دلالة على عناية القرآن الكريم بالحديث عن قصـة الخليل عليـه السلام وهو لا جرم جدير بهذه العنايه لأنه عليه السلام أصل الشجرة النبوية لكل الأنبياء الذين جاءوا من بعـده الى أن ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليـه وسلم وهو الجـد الكريم لهذه الأمه العربية الكريمة التى تنسب اليه فى اروعتها العريقة وان كان الاسلام هو أقوى نسب وأطهر رابطة . وهو عليـه السلام صاحب الشريعة الأم التى نهجت على أساسها الأديان السماوية التى جاءت بعده . اليهودية والمسيحية والاسلام مع تبديل وحـذف وابقاء ونسخ حسب ما اقتضت حكمة الله تعالى ومشيئته وهو الذى تنازع فى أمره اليهود والنصارى وصدر الحكم الفصل فى هذا الحجاج بآيات القرآن الكريم :

« ما كان إبراهيم يهـوديا ولا نصرانيـا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »(١) .

لهذه الأسباب وغيرها عنى القرآن عناية فائقة بقصة الخليل عليه السلام وبابراز جهاده فى الدعوة وصبره على البلاء وبيان أنه هو رافع قواعد أول بيت وضع للناس وغير ذلك من جوانب قصة الخليل عليـه

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٧ .

السلام والمتأمل فى آيات قصة الخليل عليه السلام فى القران الكريم يجد أنها تنقسم الى قسمين :

قسم لم يذكر سوى مرة واحدة • وقسم تعدد ذكره أكثر من مرة • ومن القسم الأول الحديث عن ابتلاء الله لابراهيم بالكلمات وجعله اماما وذكر ما دعا به هو وابنه اسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت ومنه أيضا محاجته للذى أتاه الله الملك وهو النمرود ودعاؤه الله أن يريه كيف يحيى الموتى •

وقد بينت هذه المواقف بعض آيات سورة البقره المتعلقة بالقصة ومنه أيضا ما رد الله به على اليهود ادعاءهم أن ابراهيم كان يهوديا وعلى النصارى ادعاءهم أنه كان نصرانيا • وتبين هذا الموقف الآيات المتعلقة بالقصة فى سورة آل عمران • التى أولها « **يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ...** » ومن هذا القسم أيضا قوله تعالى : فى سورة النساء : « **واتخذ الله إبراهيم خليلا** » فهذه هى الآية الوحيدة التى تحدثت عن انعام الله على ابراهيم بالخلة • ومن هذا القسم أيضا ايات سورة الانعام التى تبدأ بقوله تعالى :

« **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر الى قوله نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** » •

فقد ذكرت الآية الأولى اسم أبى ابراهيم وهى الآية الوحيدة فى القرآن الكريم التى صرحت باسمه ثم بينت الآيات التالية مناظرته عليه السلام لعبدة الكواكب واقامة الدليل لقومه على عدم استحقاقها للعبادة واعلانه بعد ذلك الحنيفية التى أرسله الله بها ومحاجة قومه له وايتاء الله له الحجة عليهم ومن هذا القسم أيضا آيات سورة ابراهيم التى تحدثت عن دعائه أن يجعل الله مكة بلدا امنا وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام وان يرزق بنيه الذين اسكنهم فى هذا الوادى البلقع ليقيموا الصلاة من الثمرات •

وبقيه دعواته المباركة التى ذكرتها هذه السورة • ومن هذا القسم

ايضا آيات سورة النحل التى أثنى الله فيها على خليله عليه السلام وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتباعه وهى الآيات من قوله تعالى : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) الى قوله تعالى : (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ومن هذا القسم أيضا آيات سورة مريم التى تحدثت عن دعوته لأبيه وعدته له بالاستغفار وموقف أبيه منه .

ومن هذا القسم أيضا الآيات المتعلقة بقصة الذبيح فى سورة الصافات من قوله تعالى : (رب هب لى من الصالحين) الى قوله : (ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) فهذه المواقف كلها لم يذكر كل واحد منها فى القرآن الكريم سوى مرة واحدة ولعل الحكمة من ذلك هى أن الغرض من ذكره يتحقق باستيفائه والحديث عنه فى موضع واحد من القرآن الكريم فانتفى الداعى الى ذكره مرة أخرى .

واما القسم الثانى وهو المواقف التى تكرر ذكرها والاشارة اليها فى سور مختلفة من القران الكريم فاننا لو تأملنا فيها فسوف لا نجد أن ما ذكر منها فى سورة أعيد ذكره بالفاظه وأحداثه فى السورة الأخرى التى تكرر ذكره فيها بل اننا سنجد فى كل موضع تكرر فيه ذكر موقف من المواقف اضافة جديدة ليست فى الموضع الآخر مع اختلاف أسلوب عرض الموقف الواحد من سورة الى سورة فبينما يسهب فى سورة نراه يوجز فى سورة أخرى وهذا سر من أسرار اعجاز القرآن وهو ايراد المعنى الواحد بالفاظ وعبارات مختلفة .

والمواقف التى تكرر الحديث عنها فى القرآن الكريم من قصة الخليل عليه السلام هى الحديث عن بنائه الكعبة والحديث عن مناظرته لعبدة الأصنام والحديث عن ضيفه المكرمين والاشارة الى صحفه عليه السلام فأما الموقف الأول وهو الحديث عن رفعه قواعد البيت فلو تأملنا فى الآيات التى تحدثت عنه فسوف نجد أن كل سورة من السور التى ذكر فيها تناولت جانبا غير الجانب الذى تناولته السورة الأخرى . فبينما تتحدث سورة البقرة عن رفع ابراهيم واسماعيل

قواعد البيت تجد سورة الحج • تذكر أن الله تعالى قد دل ابراهيم وعرفه بالمكان الذى يرفع عليه قواعد البيت الذى أمر ببنائه وتتولى سورة آل عمران بيان أن البيت الذى رفع ابراهيم قواعده هو أول بيت وضع للناس لعبادة الله فى الأرض •

ومادام هذا البيت بنى ليكون خالصا لعبادة الله فينبغى على ابراهيم واسماعيل أن يطهراه للطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود وقد عهد الله بذلك لابراهيم واسماعيل كما بينت سورة البقرة وذلك حين كانا يرفعان قواعده ولعله أمر بذلك ابراهيم وحده قبل ذلك حين بوأه مكان البيت كما تذكر سورة الحج • وقد أضافت سورة الحج امر الله للخليل عليه السلام بان يؤذن فى الناس بالحج ووعده له بأنهم سيجيبون نداءه • ولو أمعنا النظر مرة أخرى فى الآيات التى تناولت بناء الخليل للكعبه فى كل سورة على حدة فسوف نجد أن آيات كل سورة جاءت موافقة لما سبقها من الآيات •

فايات سورة البقرة جاءت فى معرض رد القرآن مفتريات بنى اسرائيل وتذكيرهم بنعمه الله تعالى عليهم وقولهم للمسلمين كونوا هودا أو نصارى تهتدوا • فجاءت هذه الآيات تتحدث عن ابتلاء ابراهيم بالكلمات وجعله اماما ورفعه قواعد البيت الحرام ليكون قبلة للموحدين الى يوم القيامة • أما آيات آل عمران فقد جاءت لترد على اليهود ادعاءهم أن بيت المقدس أسبق فى البناء من الكعبة • وأما سورة الحج فانه لما بينت الآيات السابقة على الحديث عن بناء الخليل للبيت موقف المشركين فى مكة من الرسول والمسلمين ومنعهم من دخول المسجد الحرام كما فعلوا عام الحديبية ناسب ذلك بيان الأساس الذى أقيم عليه البيت وهو أن الله كلف ابراهيم أن يقيمه على التوحيد وأن ينفى عنه الشرك وأن يجعله للناس جميعا • كما بينت الآيات أيضا أمر الله لابراهيم ان يؤذن فى الناس بالحج ووعده له أن يلبى الناس دعوته وهكذا أستطيع أن أقول أنه لا تكرار فى هذا الموقف لأن ما أجمل فى سورة بينته السورة الأخرى حسب ما اقتضاه المقام الذى سيقت فيه الآيات •

واما الموقف الثانى وهو الحديث عن مناظرته لعبدة الأصنام الذى تناولته سور الأنبياء والشعراء والعنكبوت والصافات والزخرف فاننا لو تأملنا فى الآيات التى تحدثت عنه فسوف نجد أن كل سورة تحدثت عنه بطريقة مخالفة لغيرها من السور فاذا أسهبت فى بيان جانب من الجوانب أوجزته السورة الأخرى وأبرزت جانبا آخر فمثلا تحدثت سورة الانبياء عن اقسام الخليل انه سيحطم أصنام قومه بعد أن يولوا مدبرين الى عيدهم وبرة بقسمه وتحطيمه للأصنام ومحاكمته ومناظرته لقومه أثناء المحاكمة واظهاره لهم أنهم يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والزامهم الحجة فى ذلك واجماعهم على القائه فى النار انتصارا لآلهتهم وجعل النار بردا وسلاما عليه وابطال كيدهم • بينما تتحدث سورة الأنبياء باسهاب رائع عن ذلك تبين سورة الصافات كيف استطاع الخليل أن يتخلف عن الخروج مع قومه الى عيدهم وذلك حين قال لهم (انى سقيم) وتبين سخريته بالأصنام قبل أن يحطمها حين دخل عليها ووجد امامها أنواعا مختلفة من الطعام وهى قابعة فى أماكنها لا تستطيع أن تمد يدا الى شىء منها •

فخاطبها فى سخرية وحدة قائلا : (ألا تأكلون) (ما لكم لا تنطقون) ثم تصف الطريقة التى ذهب بها الذين كلفوا بالقبض عليه للاتيان به فى قوله تعالى : (فأقبلوا اليه يزفون) •

ثم تبين السورة أيضا الطريقة التى اتفقوا عليها لتنفيذ الحكم بالقتل حرقا فى ابراهيم عليه السلام وهى أن يبنوا بناءا عظيما ثم يملأوه بالحطب وبكل ما يحرق ثم يشعلون فيه النيران حتى يصبح جحيما ثم بعد ذلك يلقون فيه بأبراهيم ، يوضح ذلك قوله تعالى : « قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم » •

أما سورة العنكبوت فقد بينت بعض آيات القصة فيها ما أجابوا به على الخليل حين ناظرهم وبين لهم عجز أصنامهم عن أن تنفعهم أو تدفع الضر عنهم بقول بعضهم « اقتلوه » وقول بعضهم حرقوه ثم انجاء الله له من النار وما فيه من الآيات التى لا ينتفع بها إلا المؤمنون •

ولعل اختلافهم فى طريقة التخلص منه التى بينتها السور كان قبل اجماعهم على القائه فى النار . وهكذا تبين أن كل سورة من السور الثلاث قد أبرزت جانبا من القصة غير الذى أبرزته السورة الأخرى وقد ختم الحديث عن انجاء الله له فى سورة الأنبياء بقوله تعالى : (فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) .. وفى سورة الصافات بقوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) لأن آيات سورة الانبياء بينت أن ابراهيم عليه السلام كادهم بقوله (لأكيدن أصنامكم) وبينت كيدهم لابراهيم (وأرادوا به كيدا) فجرت بينهم مكايدة فغلبهم ابراهيم لأنه كسر أصنامهم ولم يغلبوه لأنهم لم يبلغوا من احراقه مرادهم فكانوا هم الأخسرين وفى سورة الصافات (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم فأججوا نارا عظيمة وبنوا بنيانا عاليا ورفعوه اليه ورموه فيه الى أسفل فرفعه الله وجعلهم فى الدنيا من الأسفلين وردهم فى العقبى اسفل سافلين فخصت الصافات بالأسفلين)(١) .

أما سورة الشعراء فقد ذكرت مناظرة أخرى من مناظرات الخليل لعبدة الأصنام وفى هذه المناظرة بين لهم الخليل عجز اصنامهم عن سماع دعائهم اذا دعوها وعن ايصال النفع لهم او ايقاع الضرر عليهم ولما أجابوه بأنهم ورثوا عبادة هذه الأصنام عن آبائهم أعلن لهم عداوته لها ثم أخذ يعرفهم بربه الذى يعبده ويعادى كل معبود سواه فذكر بعض آثار قدرته الدالة على تفرده وحده باستحقاق العبودية وذكرهم بأنعم الله تعالى عليهم وحدثهم عن البعث وبين لهم أن ربه وحده هو الذى ترجى مغفرته يوم القيامة ثم توجه الى الله تعالى بهذه الدعوات الخاشعات التى تدل على عمق ايمانه وثبات يقينه فقال :

(رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لأبى انه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم) .

ومما يدل على أن سورة الشعراء قد ذكرت مناظرة أخرى غير

---

(١) أسرار التكرار فى القرآن ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

التى ذكرتها سورتى الأنبياء والصافات الطريقة التى وجه بها الخليل الخطاب الى قومه فقد قال لهم (ما تعبدون) فاجابوه بقولهم (نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) .

وفى سورة الأنبياء بدأ مناظرتهم بقوله : (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) فالمغايرة بين طريقه مخاطبته لهم فى السورتين تدل على أن كل واحدة منهما قد بينت مناظرة غير التى بينتها الأخرى . والعكوف هو الاستمرار على الشىء لغرض من الأغراض . والمراد به هنا الاستمرار على عبادة الأصنام مع وضوح عجزها وظهور هوانها .

ومما يدل على أن سورة الشعراء ذكرت مناظرة غير التى ذكرتها سورة الصافات طريقة الخليل فى سؤال قومه عما يعبدون .

فقد قال فى سورة الشعراء (ما تعبدون) وقال فى سورة الصافات (ماذا تعبدون) لأن هدفه فى سورة الشعراء كان مجرد الاستفهام عما يعبدون فاتى فى السؤال (بما) التى تفيد ذلك ولذلك كان جوابهم (نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) وفى سورة الصافات سألهم (بماذا) التى تفيد المبالغه وقد تضمن فى الصافات معنى التوبيخ . فلما وبخهم قال : (أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين) فجاء فى كل سورة ما اقتضاه ما قبله وما بعده أما المناظرة التى بينتها سورة العنكبوت فقد كان فيها يخاطب قومه من غير أن يكون أبوه معهم كما بين ذلك قوله : (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) فليس من الضرورى أن يكون أبوه حاضرا فى كل مناظرة من مناظراته مع قومه وتدل طريقة مخاطبته لقومه كما بينتها هذه السورة على أن هذه المناظرة تختلف عن المناظرات الأخرى فهو لم يقل لقومه (ما تعبدون) ولا ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . وانما وجه النصح والعظه اليهم مباشرة وبين لهم أن هذه الأوثان التى يعبدونها ليست الا باطلا صنعوه بأيديهم وهى عاجزة عن أن ترزقهم ما به قوام حياتهم ثم وجههم الى الذى يجب أن يطلب الرزق منه وأن يتوجه اليه وحده بالعبادة والشكر وهو « الله تعالى » ثم هددهم بأنهم ان كذبوه كما

فعل من سبقوهم مع رسلهم بانهم سيقع بهم ما وقع بالمكذبين قبلهم من العذاب ثم دعاهم الى الايمان بالبعث وطلب منهم أن يسيروا فى الأرض ليستدلوا بما يشاهدونه من آثار الماضين ومن أنواع المخلوقات على قدرة الله تعالى على البدء والاعادة ثم بين لهم فى آخر الآيات أن الذى دفعهم الى اتخاذ الأوثان آلهة من دون الله هو مجاملة بعضهم لبعض فى الدنيا وان ذلك لن ينفعهم يوم القيامه فيوم القيامه سوف يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا ومأواهم النار وبئس المصير • وفى أثناء ذلك أشارت الآيات الى موقف قومه من دعوته لهم واختلافهم على الطريقة التى يتخلصون بها منه عليه السلام •

وأما سورة الزخرف فقد بينت اعلانه عليه السلام لأبيه وقومه براءته مما يعبدون وأنه لن يعبد الا الذى خلقه والذى سيهديه الى الطريق المستقيم •

وبعد فارجو أن يكون قد اتضح مما سبق ان الآيات التى تناولت مناظرات الخليل لعبدة الأوثان ليس فيها تكرار لأن كل سورة من السور قد بينت مناظرة من مناظراته عليه السلام غير التى بينتها السورة الأخرى ولا شك فى أن الخليل عليه السلام قد دعا قومه الى التوحيد أكثر من مرة وكان فى كل مرة يحاورهم بطريقة مخالفة للتى سبقتها كى يثبت لهم خطأهم فى عبادة الأصنام ويقنعهم بأن الحق هو الذى يدعوهم اليه • وفى ذكر القرآن مناظرات الخليل المختلفة لقومه توجيه للنبى صلى الله عليه وسلم الى عدم اليأس من مواصلة دعوته لقومه بسبب ما يلقاه منهم من تكذيب وعناد فان ابراهيم عليه السلام وهو الذى أمر باتباعه لم يمل من مواصله الدعوة فظل يناظر قومه ويدعوهم الى الايمان بالله ويبطل كل حججهم حتى القوه فى النار ومع ذلك لم يكف عن دعوتهم وفيه أيضا تعليم للدعاة الى الله أن يكون أسلوبهم فى الدعوة قائما على الاقناع بالحجة والبرهان وأن لا يملوا من تكرار مناظرة المنكرين وأن تكون دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأما ضيف ابراهيم المكرمين فقد جاء الحديث عنه فى سورة هود والحجر والعنكبوت والذاريات ولو دققنا

النظر فى الآيات التى تناولها الحديث عن ضيف ابراهيم فى السور الأربع فاننا سنجد أن مجموع هذه الآيات يصور لنا ما حدث لابراهيم مع ضيفه المكرمين فقد تولت كل سورة من هذه السور ابراز جانب من جوانب القصة وأوجزت الجوانب التى أبرزتها السور الأخرى فسورة هود مثلا بدأت ببيان حقيقتهم وهى أنهم رسل من قبل الله الى ابراهيم جاءوه فى صورة بشر ولأن الخليل عليه السلام لم يعرفهم فقد استقبلهم على أنهم ضيوف فأسرع يؤدى لهم واجب الضيافة بكرم وسخاء وقد بينت ذلك سورتا الحجر والذاريات ففى الحجر قال تعالى : (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) وفى الذاريات قال تعالى : (وهل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) وقد وصف العجل فى سورة هود بأنه حنيذ وفى سورة الذاريات بأنه سمين ولا تعارض بين ما جاء فى السورتين . فسورة هود بينت الطريقة التى هيىء بها وأعد اعدادا جيدا ليكون طعاما للضيفان وهى شيه على الحجارة المحماة وسورة الذاريات أشارت الى كرم الخليل عليه السلام حيث قدم لأضيافه الذين كان عددهم قليلا عجلا سمينا وقد بينت سورة هود أن الخليل عليه السلام أوجس خيفة من ضيوفه حينما امتنعوا عن طعامه بعد أن قربه اليهم وأنكر حالهم التى لم يعهدها . فى ضيفان من قبل وربما اعتقد انهم من ملائكة العذاب وأنهم طمأنوه وأزالوا خوفه باخبارهم له بأنهم رسل من قبل الله عز وجل أرسلوا لاهلاك قوم لوط وذكرت سورة الحجر أن الخليل صرح لهم بخوفه منهم ولم تذكر تقديمه العجل السمين اليهم ولا السبب الذى دفعه الى أن يحس بالخوف منهم ولأنها متأخرة فى النزول أوجز فيها ما فصله فى سورة هود لأن التقدير فقالوا سلاما قال سلام . فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قال أنا منكم وجلون . فحذف للدلالة عليه وتدل آيات سورة الحجر على أنه عليه السلام بعد ان صرح لهم بوجله منهم طمأنوه بأنهم مبشرون له بغلام عليم وكذا فى سورة الذاريات وفيها أنه بعد البشارة له سألهم عن خطبهم وما جاءوا لأجله فأخبروه فجادلهم فيه كما ذكر فى سورة هود مجملا وتفيد ايات سورتى الحجر والذاريات أن الملائكة بعد أن طمأنوا الخليل عليه السلام بشروه بغلام عليم هو اسحاق عليه السلام وتفيد آيات سورة

هود أن الملائكة بعد أن طمأنوه • قالوا انا أرسلنا الى قوم لوط ثم بشروا سارة بعد ذلك باسحاق ثم بابنه يعقوب وليس ثم تناقض بين ما جاء فى السور الكريمة لأن ما أجمل فى هود فصلته سورتى الحجر والذاريات وما أجمل فيهما فصلته سورة هود فقد بشرت الملائكة ابراهيم اولا بالعلام العليم كما جاء فى سورتى الحجر والذاريات ثم لما قال لهم الخليل (ما خطبكم ايها المرسلون) أخبروه انهم أرسلوا لمهمة أخرى بعد تبشيره باسحاق وهى اهلاك قوم لوط • ولعل سارة عليها السلام لم تسمع تبشيرهم لابراهيم بالعلام العليم • ولكنها سمعتهم يتحدثون عن أنهم أرسلوا لاهلاك قوم لوط فضحكت فرحا باهلاكهم انتقاما لوط عليه السلام فبشروها هى الأخرى باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب • وكما ذكرت سورة هود أن سارة تلقت تبشير الملائكة لها باسحاق ويعقوبه • بتعجب شديد من أن يولد لها ولد وهى عجوز عقيم وبعلها شيخ كبير فذكرت سورة الحجر أن الخليل عليه السلام تعجب من تبشير الملائكة له بالعلام العليم كما تعجبت سارة من ذلك فقال للملائكة (ابشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون) أى أتبشروننى بالولد بعد أن مسنى الكبر وزوجتى فبم تبشرون وبينما تذكر سورة هود أن الملائكة قد صرحوا لابراهيم عليه السلام باسم القوم الذين أرسلوا بالعذاب لهم وهم قوم لوط نجد آيات سورتى الحجر والذاريات لا تسمى قوم لوط وانما تذكرهم بوصفهم وهو أنهم قوم مجرمون اكتفاء بما ذكر فى سورة هود وتنويها الى السبب الذى استحقوا به ان ينزل الله بهم ذلك العقاب الشديد •

ونجد فى سورة العنكبوت قوله تعالى على لسان الملائكة (انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين) وقد أجملت آيات العنكبوت ما فصل فى السور الثلاث فلم تذكر ما بشر به ابراهيم ولكنها أشارت الى مجادلته الملائكة عن قوم لوط وقد كانت سورة هود ذكرت أن ابراهيم عليه السلام بعد أن ذهب عنه الروع جادل فى قوم لوط طمعا فى تخفيف العذاب عنه ولكنها لم تذكر شيئا عن هذه المجادلة فتولت سورة العنكبوت الاشارة اليها •

وبعد فلعله قد اتضح الآن أن الآيات التى تحدثت عن قصة الخليل

مع الملائكة أو ضيفه المكرمين يكمل بعضها بعضا وانه ليس فيها تكرار لان كل سورة من السور الأربعة قد أبرزت جانبا من القصه أوجزته السور الأخرى او لم تتعرض له ولا تستطيع الاحاطه بتفاصيل ما دار بين الخليل وبين الملائكة الا اذا ضممنا الآيات التي تناولت هذا الموضوع بعضها الى بعض واما صحف ابراهيم فقد أشار القرآن الى بعض ما جاء فيها مرتين مرة فى سورة « النجم » ومرة فى سورة (الأعلى) ولو قرأنا الآيات التى تحدثت عن صحف ابراهيم فى السورتين فسنجد أن ما ذكرت سورة النجم أنه جاء فى صحف ابراهيم غير الذى ذكرت سورة الأعلى أنه فى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى وبهذا يكون التكرار هو فى كلمة صحف ابراهيم فقط لا فيما ذكرت من سورة من السورتين الكريمتين انه فى صحف ابراهيم .

ومن هذا العرض الموجز للآيات التى تناولت ما ذكر فى أكثر من سورة فى القرآن الكريم من مواقف قصة الخليل يتبين لنا أنه لا تكرار فى قصة الخليل عليه السلام بالمعنى المتبادر للتكرار وهو أن تتحدث سورة عن موقف من مواقف القصة ثم يتكرر ذكره فى سورة أخرى بنفس ألفاظه وعباراته . وانما هو ذكر جانب أو أكثر من القصة فى موضع لمناسبه وذكر جانب آخر او أكثر فى غيره لمناسبة اخرى مع تباين واختلاف هذه الجوانب بعضها — عن بعض بمعنى ان القصة اذا قرأتها فى مكان آخر فانك تقرأ فى الموضع الآخر جانبا لم يذكر فى الموضع الأول تكمله للصورة العامة التى يقررها القرآن فى قصصه وعلى ذلك فان الذى يبدو أنه تكرار فى القرآن وأنه شىء ممل غير صحيح . ولو كان ذلك لكانت السور واحدة وتكررت القصص كما تكرر الجمل المؤكدة والاخبار المرددة لمجرد استقرارها فى نفس السامع أو افادة التركيز على نفس الغرض حتى يجد فى نفس السامع مجالا للانتفاع الصحيح بافادته واعادته كما فى مثل قوله سبحانه « فمهل الكافرين امهلهم رويدا » وكما فى مثل قوله سبحانه « كلا سوف تعلمون » ثم كلا سوف تعلمون(١) وتعدد

---

(١) بحوث فى قصص القرآن . السيد عبد الحافظ عبد ربه ص ٥٤ ، ٥٥ .

ذكر الموقف الواحد من مواقف القصة القرآنية فى صور متعددة بصور مختلفة مظهر من مظاهر اعجاز القرآن الكريم الذى اخرست له ألسنة البلغاء وانحنت لروعته هامات الفصحاء • فلو أن قصة الخليل بكل ما يتعلق بها جمعت فى سورة واحدة من سور القرآن الكريم وسيقت الى السامعين دفعة واحدة لفقد القرآن وجها من أهم وجوة اعجازة البيانى ولضاع على التالى والسامع ذلك الاحساس بالروعة والجمال الذى يجدانه عند تلاوة أو سماع ما يتعلق بقصة من قصص القرآن فى أكثر من سورة من سورة •

ولتكرار قصص القرآن بالمعنى الذى وضحته فوائد جليلة غاية فى السمو اشار الى بعضها الاستاذ/مصطفى صادق الرافعى فى كتابة اعجاز القرآن •• فقال : وهو التكرار الذى يجىء فى بعض آيات القرآن فتختلف فى طرق الأداء وأصل المعنى واحد فى العبارات المختلفة كالذى يكون فى بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجه ونحوها أو فى بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره الى ما يكون من هذا الباب(١) •

١ ــ التحدى والاعجاز ويظهر ذلك فى هذه الصور •

(أ) لو سلك القرآن طريقا واحدا فى ايراد القصص لقال الكفار نحن نقدر على غير هذا النوع فقطع الله عليهم كل سبيل للاعتراض وذكر فى القرآن أنواعا مختلفة وترك لهم حرية اختيار ما يشاءون منها لكنهم عجزوا ، فدل عجزهم على صدق القرآن وأنه وحى منزل من عند الله •

(ب) تحدى الله العرب بالقرآن والقصة جزء منه فعجزوا كل العجز عن صياغة مثل هذا القصص ولم يحاولوا الأتيان بمثل أقصر قصة منه فضلا عن تكرارها بصورتين مختلفتين مع أن التكرار مذهب معروف لديهم • ومع عرفانهم بهذا المذهب أفحمهم رسول الله بهذا التعبير المختلف عن الاصل

---

(١) اعجاز القرآن ص ٢٢٠ •

الواحـد . وذلك دليل على صدق القرآن وصدق الرسول . وأنه وحى منزل من الله(١) .

يقول الرافعى وهـو يتحـدث عن هـذه الفائدة من فوائد التكرار بيد ان وروده أى التكرار فى القرآن الكريم مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته وانهم يخلون(٢) عنه لقوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها الا توهما ولضعف غريب فى أنفسهم لم يعرفوه الا بهـذه القوة لان المعنى الواحـد يتردد فى أسلوبه بصورتين أو صور كل منها غير الاخرى وجها أو عبارة وهم على ذلك عاجزون عن الصورة ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون(٣) .

(ج) لو ذكر الله القصة مرة واحـدة لقال الكفار نحن لا نأتى بمثلها . هاتوا أنتم مثلها فلا يثبت التحـدى لهـذا كررها القرآن وقـد ذكرت قصيرة ومتوسطة وطويلة ليقطع عليهم سبل اللجاج ويتحـداهم من جميع الوجوه بعكس ما لـو كانت نوعا واحـدا فانه لا يتم هـذا التحـدى .

٢ ــ أن الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى أهله ثم يهاجر بعـدة آخرون يحكون ما نزل بعـد صـدور من تقـدمهم فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى آخرين وكذا سائر القصص فأراد الله اشتراك الجميع فيها فيكون فيه افـادة لقـوم وزيادة تأكيـد للآخرين(٤) .

ومن فوائد تكرار القصص أيضا .

٣ ــ أن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الاحكام فلهذا كررت القصص دون الاحكام(٥) .

(١) رسالة القصص القرآنى د. عبده بليتوك ص ٢٢٦ .
(٢) يخلون عنه . يتركونه بلا معارضة والتخلية « الترك » .
(٣) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٢٠ .
(٤) الاتقـان جـ ٢ ص ٦٨ .
(٥) المرجـع السابق جـ ٢ ص ٦٨ .